التعايش السلمي والحوار الحضاري والثقافي بين المسلمين وغيرهم في المجتمعات المتعددة الأعراق

Peaceful Coexistence and Cultural-Civilizational Dialogue between Muslims and Others in Multi-Ethnic Societies

MUHAMMAD ‘ASHOUR ABDULLAH KUSHLAF*, & AHMAD YUNUS MOHD NOOR[1]

ABSTRACT

The basic principle in Muslims' relations with others is peace and forgiveness. Nothing changes this peaceful relationship except when non-Muslims attack it, directly or indirectly, on the freedom of preaching, or on a Muslim on any land in the homeland of Muslims. As for the relationship of forgiveness, it is fixed under any circumstances. It is based on: the firm belief that the religion of God Almighty is Islam, and considering everything else besides it as false while demonstrating the distinction in the Islamic personality, and not forcing non-Muslims to embrace the true Islamic religion in any way, with the necessity of offering them an invitation and a message, and enabling them to practice the teachings of their religion, and not to insult what they worship so as not to harm the feelings of Muslims. It is historically and realistically established that Muslims are the most capable of peaceful and positive coexistence with those who oppose them in religion, as long as they are committed to their true Islam. It is also necessary to mention the establishment of civilized and cultural dialogue because it is considered an inevitable requirement imposed by the Islamic religion and required by reality, because of its strong link to peaceful coexistence between Muslims and followers of other religions and beliefs in society, and its near and distant fruits are hoped and give meaning to life Diversity and diversity within the community wall, which is reflected in richness in training and renewal in performance and benefit to the general public without exception. Society is an existential necessity dictated by religion and necessitated by reality. Civilized and cultural dialogue is a religious duty and a human interest.

Keywords: Peaceful, Coexistence, Cultural-Civilizational, Dialogue, Societies

[1]**Muhammad ‘Ashour Abdullah Kushlaf** * (Corresponding Author), Ph.D. candidate at the Institute of Islam Hadhari, Universiti Kebangsaan Malaysia, 43600, UKM BANGI, Selangor, MALAYSIA. Email: p104716@siswa.ukm.edu.my; **Ahmad Yunus Mohd Noor** Ph.D., Associate Professor at the Research Center for Theology & Philosophy, Faculty of Islamic Studies, and Associate Senior Research Fellow at the Institute of Islam Hadhari, Universiti Kebangsaan Malaysia, 43600, UKM BANGI, Selangor, MALAYSIA. Email: a_yunus@ukm.edu.my

التمهيد

إن مبدأ التعايش السلمي الذي تتطلع إليه الشعوب في حاضرها أصوله إسلامية، فالدين الإسلامي دين أخوة ومودة بين الناس سواء من آمن منهم أو لم يؤمن به، فالعلاقة بين المسلمين و غيرهم عمادها البر و الإحسان، و احترام الحرية الدينية ما دام هؤلاء لا يؤذون المسلمين، و لا يحرضون على إيذائهم ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى :-(لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ .إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ[2] ﴾ .فهاتان الآيتان تلخصان الدستور الإسلامي في العلاقات داخل المجتمع، و هذا الدستور يقوم على السلم، ويؤثر المودة على العداوة حتى مع من عادوه ما ضمن كفهم عن الاعتداء لما في ذلك من تدعيم للمودة الإنسانية، و توثيق للروابط الإنسانية ، فقبل الآيتين السابق ذكرهما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[3].

ومن هذا المنطلق يأتي الدور الحضاري الإسلامي الذي يجب أن يؤكد هذه المعاني الإنسانية التي أكد عليها الدين الإسلامي، خاصة في ظل التوترات الدينية و السياسية التي تسيطر على أجزاء كثيرة من المجتمع، والتي يرجع كثير منها لأسباب تتعلق بسوء الفهم من كل طرف للآخر، فالأخوة الإنسانية أمر واقع بغض النظر عن اختلاف الدين أو اللغة أو الجنس أو اللون.

---

[2] سورة الممتحنة الآية 8-9.

[3] سورة الممتحنة الآية 7.

موقف التعايش السلمي

إن الجذور الإسلامية لمبدأ التعايش السلمي داخل المجتمع بين أفراده تنطلق من قاعدة الأخوة الإنسانية التي أقرها القرآن الكريم حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ[4] ﴾ ، فنظرة الدين الإسلامي إلى غير المسلمين لا تعرف التعصب و العداء و الكبرياء، و إنما تقوم على التسامح و التعاون و الإخاء و على احترام العهود و الوفاء بها مهما تكن الظروف، و من هذا المنطلق تسعى حضارتنا الإسلامية جاهدة لوضع أسس قوية و متينة لبناء علاقات سلمية بين أفراده المسلمين و بين أفراد أتباع الديانات و المعتقدات الأخرى على أن يكون أساس هذه العلاقات هو التعايش السلمي و احترام الآخر، و هذا يستلزم قيام حضارتنا الإسلامية بالسير في أكثر من محور لتحقيق هذا الهدف الإنساني ، و يمكن إيجاز هذه المحاور في عدد من النقاط أهمها:

(1) على الحضارة الإسلامية من خلال أفراد المجتمع أن تقوم بالدعوة إلى الله عز و جل:

أي دعوة المسلمين و غير المسلمين؛ حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[5] ﴾، أي : "و لتكن منكم أمة قائمة بأمر الله عز و جل في الدعوة إلى الخير و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و أولئك هم المفلحون يعني المجاهدين و العلماء. و المقصود من هذه الآية الكريمة ، أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن

[4] سورة الحجرات الآية 13.

[5] سورة آل عمران الآية 4.

، و إن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة" [6]. فالدعوة فرض كفاية على المسلمين أي يتعين على فئة منهم أن تتفرغ لهذا العمل، و تعكف عليه وحده ، و تخلص له إعمالاً بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ[7] ﴾، و هذه الفرقة هي التي أخذت على عاتقها تحقيق هذا الهدف، و الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى و تعريف الناس بحقيقة الله عز و جل و حقيقة دينه، و بالتالي نبذ عوامل الفرقة الإنسانية و أي مظهر من مظاهر الخلاف البشري على مستوى المجتمع في اي بلد بصفة خاصة و على المستوى العالمي بصفة عامة، و حتى تقوم هذه الفرقة بدورها في الاستمرار بالدعوة إلى الله جل جلاله فإن هناك آداباً و شروطاً يجب أن يتبعها كل داعية منها :

(أ) أن تكون الدعوة إلى الله عز و جل ، و الدعوة إلى الله تعالى دعوة خالصة النية لا يخالطها غرض من أغراض الدنيا.

(ب) أن الداعية الذي يقوم بهذه الدعوة على بصيرة أي على علم و يقين ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي[8] ﴾، "يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين : الإنس و الجن ، امراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته و مسلكه و سنته ، و هي الدعوة إلى شهادة أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك و يقين و برهان هو و كل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة و يقين و برهان عقلي و

---

[6] تفسير ابن كثير 86/2.

[7] سورة التوبة من الآية 123.

[8] سورة يوسف من الآية 108.

شرعي" [9] ، و من هذا المنطلق فيجب على من يقوم بذلك أن يعلم بما يدعو إليه و يؤمن به إيمان اعتزاز لأحكامه ، و اقتناع تام بحجته و حجيته .

(ج) أن تكون الدعوة وفق ماشرعها الله عز وجل و رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يبتدع في أحكامها و لا يحرف فيها أو تُخفى منها جوانب معينة مخافة الناس، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ[10] ﴾ "و قوله تعالى : (فلذلك فادع) أي فللذي أوحينا إليك من الدين الذي وصينا به جميع المرسلين قبلك ، أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم و غيرهم فادع الناس إليه. و قوله عز و جل : (و استقم كما أمرت) أي و استقم أنت و من اتبعك على عباده الله تعالى كما أمركم الله عز و جل، و قوله تعالى: (و لا تتبع أهواءهم) يعني المشركين فيما اختلقوه فيه و كذبوه و افتروا من عبادة الأوثان" [11] .و يقول أيضا سبحانه وتعالى : ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ[12] ﴾ . "أي فأخلصوا لله وحده العبادة و الدعاء و خالفوا المشركين في مسلكهم و مذهبهم" [13] ، و بالتالي فالفرقة من خلال الدعاة ، عليها أن تدعو إلى الله سبحانه وتعالى لا تخشى لومة لائم ، وألَّا يخالط الدعوة حرج من أحكامها أو شرائعها مجاملة لمن لا يؤمنون بدين الله جل جلاله أو خوفاً منهم.

(2) على حضارتنا الإسلامية من خلال منابرها أن تدافع عن الدين الإسلامي :

---

[9] تفسير ابن كثير 58/4.

[10] سورة الشورى من الآية 13.

[11] تفسير ابن كثير 193/6.

[12] سورة غافر الآية 13.

[13] تفسير ابن كثير 128/6.

أي رد الشبهات التي يثيرها أعداء هذا الدين في داخل مجتمع اي بلد من بلدان هذاالعالم، وكذلك محاولات تحويل المسلمين عن دينهم، و محاولات تحجيم الدين و دوره في المجتمع المسلم، كما يجب التصدي للتصرفات المشينة التي تصدر من بعض المنتمين للدين الإسلامي في ترويع الآمنين ، و انتهاك ما حرم الله عز و جل من الأموال و الحرمات و الأرواح بسبب الاستدلال الفاسد و التطرف في الفكر لأن هذه التصرفات التي تلصق عمداً بالإسلام و دعاته و يتخذها أعداء الإسلام وسيلة للهجوم على الدين الإسلامي و عقيدته و أحكامه و الهجوم على المساجد والمؤسسات الدينية حتى أصبحت تهمة مساندة الإرهاب وارد أن تلصق بأي مسلم ملتزم بدينه أو مسجد أو مؤسسة إسلامية ، بل وصل الهجوم إلى الخصوصيات مثل الحجاب والإرث و أحكام الزواج و الطلاق و المعاملات التجارية، و لم يتركوا في الأمر مجالا إلَّا ولجوه في الأدب و العلم والفن والتاريخ و مختلف العلوم ينشرون أفكارهم المعارضة للدين الإسلامي و بالتالي يروجون لعوامل عرقلة أي فرص للتعايش السلمي.

(3) على حضارتنا الإسلامية من خلال منابرها أن توضح كيف نظر الدين الإسلامي للآخر:

أي تقديم الصورة الحقيقية للدين الإسلامي لأي مجتمع من مجتمعات هذا العالم ، وابراز علاقة الدين الإسلامي بالآخر من الديانات و المعتقدات الأخرى، تلك العلاقة القائمة على مبدأ الأخوة الإنسانية بين البشر جميعاً ، بما لا يتعارض مع الدين الإسلامي، بغض النظر عن الجنس أو اللون أو الدين مثلما يعمل تماماً بمبدأ الأخوة الإيمانية داخل المجتمع المسلم ، فالإيمان الصادق بالوحدة الإنسانية هو السبيل الأمثل لإنقاذ البشرية من كل ما تعاني منه من عصبية دينية أو عرقية أو جنسية جلبت على المجتمع الإنساني قديماً و حديثاً أفدح الأخطار و الأضرار.

إن الله عز و جل خلق الناس من نفس واحدة وخلق من هذا النفس زوجها و توالد الناس من هذين الأبوين الكريمين عليهما السلام، و في هذه النشأة من الأصل الواحد تقرير للوحدة الإنسانية بمعنى ان جميع الناس يتساوون في شرف الانتساب إلى آدم و حواء عليهما السلام.

و من هذا المنطلق يجب على الدعاة باي مجتمع نشر رسالة عالمية مفادها إن الإنسان أينما كان هو أخ لغيره من الناس في كل مكان، و إن تفرقهم شعوباً و قبائل لا ليتنابزوا و يتنازعوا ويتباغضوا ، و لكن ليتعارفوا و هذا التعارف يتيح لكل فريق أن ينتفع بخير ما عند الفريق الآخر، و تكون خيرات الأرض كلها لابن هذه الأرض و هو الإنسان ، و في هذا الإطار يجب أن تؤكد حضارتنا الإسلامية من خلال منابرها أن الوحدة الإنسانية تعني إيمان الإنسان بأنه مسؤول عن غيره من الناس، و بأنه جزء من كل ، أو أنه لبنة في بناء المجتمع الإنساني كله ، و أن أي أذى ينال أي جزء في هذا البناء يرتد عليه جميعه.

وفي الإطار ذاته يجب على حضارتنا الإسلامية من خلال منابرها أيضاً أن تركز على أن المسلمين كانوا في علاقتهم بغيرهم في السلم و الحرب يلتزمون بما تفرضه الأخوة الإنسانية التي أرسى مبادئها الدين الإسلامي، فكانوا في حروبهم لا يتجاوزون الضرورة العسكرية، و يعاملون خصومهم أياً كان دينهم معاملة إنسانية ، و يوفرون لهم الحماية اللازمة لأن الإنسانية تعلي من قدر الإنسان و تمنع كل ما يؤدي إلى امتهانه أو إذلاله أو إخافته أو الانتقاص من حريته أو انتهاك حرماته أو عقيدته.

وأخيراً إن التسامح في الدين الإسلامي هو عقيدة ثابتة و سلوك راقٍ ، بل هو منهج حياة طبقه المسلمون في حياتهم الخاصة و العامة فكان تعاملهم مع غيرهم من أتباع الديانات و المعتقدات الأخرى مثالاً رفيعاً عزَّ نظيره للتعايش. و هو الأمر الذي يؤكد بما لا يرقى إليه الشك ، أن المسلمين رواد التعايش، و أنهم يملكون، و في كل الأحوال استعداداً ذاتياً ليتعايشوا مع من يرغب من أهل الأديان و الشرائع و الملل و العقائد،

في التعايش معهم ، بدون أن يكون هذا الاستعداد، تفريطاً في خاصية من خصائص هويتهم، أو تخلياً عن معتقد من معتقداتهم ، أو تنازلًا عن حق من حقوقهم .و إنما هو تعايش يخدم أغراضاً إنسانية سامية ، عن طريق التفاهم و التعاون و العمل المشترك في الميادين التي تحقق هذه الأغراض. لقد وضع الدين الإسلامي القواعد التي تنظم العلاقة بين الدولة الإسلامية و بين غير المسلمين و بين الأمة الإسلامية و غير المسلمين، و بين المجتمع بعضه مع بعض بحيث تكون علاقات طبيعية. الدين الإسلامي الحنيف دين الإنسان أينما كان، و لم يكن و لن يكن حكراً على أحد، والقيم الإسلامية تعتبر الناس جميعاً، من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، مؤمنهم و كافرهم ، أفراد أسرة واحدة ، و هذه الحقيقة الأسرية تؤهلهم للتعايش والتفاهم، و أن العلة من التنوع في الخلق التعارف و التكامل ، و اعترف الدين الإسلامي الحنيف بالتنوع ، و أعتبره سبيلاً لإثراء الحضارة و التفاعل ، و التكامل و التعايش و التعارف. إن الإنسان في القيم الإسلامية مكرم بأصل خلقه كإنسان ، كائناً من كان، و أن سبيل العلاقات الإنسانية هو الحوار و التفاهم و احترام الآخر، و أن التبادل المعرفي سبيل النمو و الإرتقاء. إن الأصل في الدين الإسلامي السلم و الامن ، و أن الحرب استثناء ، و كذلك حض على احترام المعاهدات و العهود و المواثيق حتى مع الضعيف الذي لا يمتلك قوة لأن الالتزام بالعهود و المواثيق في الدين الإسلامي لا يقوم على القوة و الضعف بل يقوم على مدى الإلتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى.

وأما عن اقامة الحوار الحضاري والثقافي بين المسلمين وغيرهم من الديانات؛ يجب الاشارة إلى أن الأصل في علاقات المسلمين بغيرهم هو السلم و المسامحة. و لا يغير العلاقة السلمية إلا ما يطرأ عليها من اعتداء غير المسلمين على نحو مباشر أو غير مباشر على حرية الدعوة، أو أحد المسلمين فوق أي أرض من موطن المسلمين. و أما علاقة المسامحة فثابتة تحت أي ظرف من الظروف. و هي ترتكز على: الإيمان الثابت بأن الدين عند الله عزَّ و جلَّ الإسلام، و اعتبار ما سواه باطلاً مع إظهار التميز في الشخصية الاسلامية، و عدم

إكراه غير المسلمين على اعتناق الدين الإسلامي الحنيف بأي وجه من الوجوه، مع وجوب عرضه عليهم دعوةً وتبليغاً ، و تمكينهم من ممارسة تعاليم دينهم، و عدم سب ما يعبدون حتى لا يمسوا بمشاعر المسلمين.

إنه من الثابت تاريخياً و واقعياً أن المسلمين أقدر الناس على التعايش السلمي و الإيجابي مع المخالفين لهم في الدين ما داموا ملتزمين بإسلامهم الحنيف ونظراً لطبيعة التبادل بين الأطراف المتعايشة يكون مستوى هذا التعايش متماشياً مع مبادئ الدين الإسلامي. ولنرى في البداية ما هو تعريف الحوار ثم نستعرض كيفية إقامة الحوار الحضاري و الثقافي بين المسلمين و غيرهم من أتباع الديانات و المعتقدات الأخرى.

الحوار: هو مراجعة الكلام و تبادله بين طرفين أو أكثر في جو هادئ يعطي كل طرف فيه لآخر مجال الكلام بحرية كما يستمع زملاء الحوار بعضهم إلى بعض بكل احترام ،وهدفه هو قبول الحق أو التفاهم بين الطرفين أو الأطراف للتعاون أو التعايش.

وأما في القرآن الكريم أو التعبير القرآني فقد ورد على صورة فعل حيث قال الله تعالى:﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ[14] ﴾ ، و ورد على صورة اسم الفعل حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ.[15] ﴾

و الفعل حاور و تحاور بنفس المعنى ، و الاسم منه هو الحوار أو التحاور و معناه التواصل و التناقش و المجادلة البناءة بين الطرفين أو عدة أطراف ، والمجادلة والمناقشة إن كانت بالتي هي أحسن فهي الطريقة المثلى للغة الحوار التي طلبها الله تبارك وتعالى من عباده الصالحين ؛ حيث يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَجَادِلْهُمْ

[14] سورة الكهف من الآية 36.

[15] سورة المجادلة الآية 1.

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ[16] ﴾ "أي من احتاج منهم إلى مناظرة و جدال فليكن بالوجه الحسن برفق و لين و حسن خطاب" [17]. وكذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ [18] ﴾"أي من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل ان تطيع الله فيه. و قوله عز و جل(فإذا الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم) و هو الصديق إذا احسنت إلى من اساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك و محبتك و الحنو عليك حتى يصير كأنه ولي لك حميم أي قريب إليك من الشفقة عليك و الإحسان إليك" [19]...و هذا أبلغ دليل على دعوة الله سبحانه وتعالى لعباده المسلمين في القرآن الكريم بالتحاور مع بعضهم البعض و مع أهل الكتاب ، و حتى مع أعدائهم. فالحوار مطلوب في الدين الإسلامي بشهادة القرآن الكريم ، و قد حدد الله تبارك وتعالى لغة الحوار المثلى و وصفها:(بالتي هي أحسن) و ضمن النجاح مقدماً إذا كان : (بالتي هي أحسن) بأن تكون نتيجته تضييق أسباب الخلاف و تقريب وجهات النظر إلى حد يصعب تصوره وهو أن يصير العدو صاحباً قريباً منا ، و (كأنه ولي حميم) و من هنا يمكن القول إن هذا المستوى الرائع في الحوار و المتميز في الأسلوب و التشجيع له ينفرد به الدين الإسلامي الحنيف.

إن العلاقة بين الأفراد و الجماعات لا يستطيع أن ينظمها السلم الاجتماعي ، و تنجو من حالة الجمود و الإنغلاق و الحذر الدائم من الآخرين إلّا إذا بنيت على أسس متينة من التواصل و التحاور؛ تبني جسور التواصل الراشد و ترسخ الثقة مبدءاً و قيمةً ، فيصبح ذلك ثقافة ضرورية تشكل وعي المجتمع. و عندما يعيش

---

[16] سورة النحل من الآية 125.

[17] تفسير ابن كثير 235/4.

[18] سورة فصلت من الآية 33.

[19] تفسير ابن كثير 177/6 -178 .

السلام في ضمير الإنسان و في البيت وأحضان المجتمع؛ أي بمعنى أنه عندما تترجم مبادئ الأخوة و المساواة والعدالة إلى أعمال حية ، وتزول حواجز التعصب و يزول الظلم و القهر فإن السلام المجتمعي ينشر ظلاله و يستوعب الكل بلا تمييز أو اصطفاء مبني على أسس من الدين مغلوطة أو تقديرات بشرية قاصرة مما من شأنه أن يكون مؤذناً بخراب العمران على رأي الاجتماعي المسلم عبدالرحمن بن خلدون [20] .و بناء على ما تقدم فقد وُجدت مبررات حقيقية للحوار دافعة نحوه و مشجعة عليه، بعضها مشترك يلتقي فيه كل الناس على إختلاف نحلهم و مللهم ، و بعضها الآخر اختص به المسلمون راجعاً إلى طبيعة اعتقادهم و أمر دينهم ، فثقافة الحوار ملزمة للإعتبارات و الضرورات الاتية:-

(1)ضرورة شرعية: على اعتبار أن ما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب، و على خلفية أن تبليغ الدين لا يكون إلا بمخاطبة الناس و مخالطتهم و التعرف عليهم عن قرب و ما يصحب ذلك من تحاور و تبادل للرأي، و من مقتضيات الدعوة التبليغ، و من شروط التبليغ المخاطبة و من ضروريات المخاطبة المخالطة ، استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ[21] ﴾ " و في هذه الآية الكريمة يقول الله تعالى امراً رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة. قال ابن جرير : و هو ما أنزله عليه من الكتاب والسنّة و الموعظة الحسنة، أي بما فيه من الزواجر و الوقائع بالناس، ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى" [22]. وحذراً من العاقبة التي أنذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة ، يقول : يا رب هذا أغلق بابه دوني ، فمنع معروفه)) [23] ، فالمسلم لا يدخر وسعاً في إسداء

[20] انظرمقدمة كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ص223 .

[21] سورة النحل من الآية 125.

[22] تفسير ابن كثير 235/4.

[23] أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

المعروف لجاره ، فيفتح له باب الرعاية و الود و الكرم على مصراعيه محاذراً أن يقصر في واجبه نحوه ، فينتهي إلى محاذير الحديث الشريف السابق الذكر.

(2) ضرورة عملية : إذ أن حياة الناس داخل المجتمع لا تستقيم إلا بالتواصل و التعارف ، وكسر الحواجز النفسية المكبلة لإرادة مبادرة الآخرين من أفراد المجتمع لمعرفتهم و الاقتراب منهم ، بما يحقق التآلف والتكافل و التعاون و قضاء المشترك بينهم من الحاجات الضرورية و تجاوز عقدة التقوقع و الانكماش و الالتفاف حول الذات ، و تلك هي طبيعة المسلم الذي يتجه بكلياته نحو الناس داخل المجتمع الذي يعيش فيه يبشرهم و يحفزهم و يبعث فيهم روح الاجتماع و عدم الفرقة ، تحركه عقيدته و يهديه الوحي الخالد لهذا الدين الإسلامي الخاتم ، مستوعباً دروس السيرة النبوية العطرة، و مطلعاً على تجربة الدين الإسلامي الرائدة . كما أن حياة المسلمين داخل المجتمع لا يستقيم أمرها إن هم بقوا بمعزل عن الناس، فالضرورة العملية تتطلب كسر حاجز العزلة، و أن يقدموا أنفسهم على أساس أنهم جزء فاعل في المجتمع، و شريك حقيقي في تكوين المجتمع و إدارة أموره ، و تكوين المجتمع العادل الذي يستوعب الاختلاف و يحترمه ، بل و يعتبر من آيات الله سبحانه وتعالى في تنوع الخلق حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ[24] ﴾ "أي من آياته سبحانه وتعالى الدالة على قدرته العظيمة (خلق السماوات والأرض) أي خلق السماوات في ارتفاعها و اتساعها ، و شفوف أجرامها ، و زهارة كواكبها و نجومها الثوابت و السيَّارات ، و خلق الأرض في انخفاضها و كثافتها ، و ما فيها من جبال و أودية و بحار ، و قفار و حيوان و أشجار. و قوله تعالى:(و اختلاف ألسنتكم) يعني اللغات، فهؤلاء بلغة العرب ، و هؤلاء

[24] سورة الروم الآية 21.

تتر لهم لغة أخرى، و هؤلاء كرج ، و هؤلاء روم و هؤلاء فرنج و هؤلاء بربر ، و هؤلاء تكرور ، و هؤلاء حبشة، و هؤلاء هنود ، هؤلاء عجم ، و هؤلاء صقالبة ، وهؤلاء خزر، وهؤلاء أرمن ، و هؤلاء أكراد ، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى من اختلاف لغات بني آدم عليه السلام و اختلاف ألوانهم و هي حلاهم، فجميع أهل الأرض بل الدنيا منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام إلى قيام الساعة كل له عينان و حاجبان و أنف و جبين و فم و خدان ، و ليس يشبه واحد منهم الآخر بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو الكلام ظاهراً كان أو خفياً يظهر عند التأمل، كل وجه منهم أسلوب بذاته و هيئة لا تشبه أخرى و لو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح لا بد من فارق بين كل واحد منهم و بين الآخر(إن في ذلك لآيات للعالمين) " [25].

لقد قدم المسلمون فيما سبق مثالاً لتجربة المجتمع العادل الذي يستوعب الاختلاف و يحترمه، بل و يعتبره من آيات الله سبحانه وتعالى في تنوع الخلق ثم يحوله إلى قوى منتجة و يعده عامل إثراء و سبباً للتدافع في الحياة الدنيا.

إن الحياة كلها تأسن و تتعفن لو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض، و لو لا أن في طبيعة الناس التي فطرهم الله عليها أن تتعارض مصالحهم و اتجاهاتهم الظاهرية القريبة، لتنطلق الطاقات كلها تتزاحم و تتغالب و تتدافع ، فتنفض عنها الكسل و الخمول ، وتستجيش ما فيها من مكنونات مذخورة ، و تظل أبداً يقظة عاملة ، مستنبطة لذخائر الأرض مستخدمة قواها و أسرارها الدفينة [26] فيتحقق بذلك مقصد الاجتماع و تبنى فيه روابط المجتمع على أسس ثابتة ، و يشارك كل فرد على قدر جهده أو على قدر أهلية مشاركته، لا

---

[25] تفسير ابن كثير 354/5 – 355 .

[26] انظر: كتاب في ظلال القرآن 270/1.

يفاضل بينهم إلَّا العمل الصالح و النافع. و هذا بالنسبة للمسلم عبادة يثاب على فعلها و يحاسب على تركها أو التهاون فيها.

(3) ضرورة وجودية: إذ يرتبط الحوار بمستقبل الحضور الإسلامي في المجتمع ، فبقدرة المسلمين على التحاور و تقديم مفاهيمهم للكون و الحياة و الدين والتعايش، هذا يمكنهم من محو الصورة التاريخية المغلوطة التي يحملها العالم المتحضر –بزعمهم– عن الدين الإسلامي و أهله. فالذي يهم المسلمون اليوم أكثر من ذي قبل هو التوجه مباشرة إلى عامة الناس، دون الاقتصار دائماً على الالتفات إلى النخب التي يغلب على طبعها عادة الأحكام المسبقة و القناعات الأيديولوجية [27] المغلقة. فالمشاركة الواعية تبدأ لا محالة بتعريف الناس داخل المجتمع عملياً على ما يكتنزه الدين الإسلامي من خير، و ما يوفره من نفع يعم الجميع بدون استثناء، حتى إذا تعرف الناس داخل المجتمع على ذلك حقيقة ظاهرة مالوا بطبعهم إلى ما يحقق لهم سعادتهم الأبدية، و هذه هي طبيعة الإنسان في مسيرة بحثه عن النافع من الكسب المؤدي إلى الأمن في مختلف دروب الحياة و الاطمئنان في النفس، و لكن ذلك يتوقف على قدرة المسلمين داخل المجتمع على الإقناع بوجاهة رأيهم في إحتواء الدين الإسلامي على خصائص موضوعية تؤهله لإضافة معنى جديد لحياة الناس منها الآتي:

(أ) عالمية الدين الإسلامي و شموليته و تكامله: والمقصود هنا قدرة الدين الإسلامي على استيعاب مختلف شؤون الحياة و مظاهرها، فهو الحَكم على جميع أفعال الإنسان و المبين لمنهج سلوكه في الحياة و المحدد لعلاقة الإنسان بالله عز و جل و بالآخرين من البشر مهما اختلفوا و تنوعوا في أعراقهم و أديانهم و لغاتهم و ألوانهم. يمثل بنظامه الفريد المتميز منهجاً متكاملاً لتنظيم جميع مجالات الحياة بما يستوعب أطراف الحياة المختلفة و

[27] الأيديولوجية : مجموعة الآراء و الأفكار و العقائد والفلسفات التي يؤمن بها شعب أو أمة أو حزب أو جماعة.

يستجيب لحاجات الناس المتعددة و المتناقضة في كثير من الأحيان، وهذا أكسبه صفة العالمية في أحكامه و مبادئه و توجيهاته ، فهو رحمة للعالمين حيث يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ[28] ﴾ ، و هداية إلى الناس كافة تبشر من أطاعك بالجنة و تنذر من عصاك بالنار [29] ؛ حيث يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ :وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا .[30] ﴾

(ب) وسطية الدين الإسلامي و توازنه : و هي من الصفات الجامعة ، التي تعني الاعتدال و السماحة و عدم التفريط أو الإفراط في أي شيء. و لقد وصف الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ[31] ﴾ ، و هي صفة وطيدة الصلة بخاصية الشمول المتوازن ، الحافظة من الاندفاع و الغلو و التصادم الذي لم تسلم منه التصورات الفلسفية الوضعية و كثير من التصورات الدينية التي شوهتها التصورات البشرية ، بما أضافته إليها أو نقصته منها ، أو أوّلته تأويلاً خاطئاً و أضافت هذا التأويل الخاطئ إلى صلب العقيدة و هو جوهر الآية الكريمة : ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ[32] ﴾ توازن بين طلاقة المشيئة الإلهية و ثبات السنن الكونية [33].

---

[28] سورة الأنبياء الآية 106.

[29] انظر: تفسير ابن كثير 553/5.

[30] سورة سبأ من الآية 28.

[31] سورة البقرة من الآية 142.

[32] سورة الملك من الآية 3.

[33] انظر: كتاب خصائص التصور الإسلامي و مقوماته 198. لسيد قطب/ الاتحاد العالمي الاسلامي للمنظمات الطلابية/ 1983م.

(جـ) إيجابية و واقعية الدين الإسلامي : الإيجابية الفاعلة في علاقة الله سبحانه وتعالى بالكون و الحياة و الإنسان، و الإيجابية الفاعلة كذلك من ناحية الإنسان ذاته في حدود المجال الإنساني. و واقعية في التعامل مع الحقائق الموضوعية لا مع تصورات عقلية مجردة . فالمنهج الإسلامي منهج واقعي من حيث مراعاته :

1. واقع الكون كما هو حقيقة مشاهدة تدل على حقيقة أكبر و على وجود أسبق .
2. الحياة باعتبارها مرحلة حافلة بالخير و الشر و تنتهي بالموت و تمهد لحياة أخرى.
3. الإنسان كمخلوق مزدوج الطبيعة فيه نفخة من روح الله عز وجل في غلاف من الطين [34].

و أخيراً إن قضية التعايش السلمي والحوار الحضاري تعتبر مطلباً حتمياً يوجبه الدين الإسلامي ويقتضيه الواقع، لما له من صلة وثيقة بالتعايش المشترك بين المسلمين و بين أتباع الديانات و المعتقدات الأخرى في مجتمع واحد وبيئة واحدة، كما تُرجى ثماره القريبة و البعيدة و تعطي معنى لحياة التنوع و التعدد داخل سور المجتمع، فينعكس ثراءً في التكوين و تجدداً في روح الأداء و نفعاً لعامة الناس بدون استثناء، فالحياة تدافع هادف، وتنافس شريف و شراكة عادلة، و الأفضلية فيها للمخلصين و إن اختلفت ألوانهم و أصولهم. إن التنافع و التقارب الحضاري في إطار المجتمع ضرورة وجودية يوجبها الدين و يحتمها الواقع، فالتعايش السلمي والحوار الحضاري و الثقافي بين المسلمين وغيرهم واجب ديني و مصلحة إنسانية.

الخاتمة

إن المبدأ الأساسي في علاقات المسلمين بالآخرين هو السلام والتسامح. ولا شيء يغير هذه العلاقة السلمية إلا عندما يهاجمها غير المسلمين ، بشكل مباشر أو غير مباشر ، على حرية الدعوة ، أو على مسلم

[34] انظر: كتاب الإسلام مقاصده و خصائصه 63. لمحمد عقلة/ مكتبة الرسالة الحديثة/ عمان/ الأردن/ 1984م.

في أي أرض في وطن المسلمين. أما علاقة الغفران فهي ثابتة بأي حال. وهي تقوم على: الإيمان الراسخ بأن الدين عند الله تعالى هو الإسلام ، واعتبار كل ما عدا ذلك باطل مع إظهار التميز في الشخصية الإسلامية، وعدم إجبار غير المسلمين على اعتناق الدين الإسلامي الصحيح بأي شكل من الأشكال، مع وجوب دعوتهم ورسالة، وتمكينهم من ممارسة تعاليم دينهم، وعدم إهانة ما يعبدون حتى لا يضر بمشاعر المسلمين. ثبت تاريخيًا وواقعيًا أن المسلمين هم الأكثر قدرة على التعايش السلمي والإيجابي مع من يعارضهم في الدين، طالما أنهم ملتزمون بإسلامهم الحقيقي.كما لا بد من الإشارة إلى إقامة حوار حضاري وثقافي لأنه يعتبر مطلبًا حتميًا يفرضه الدين الإسلامي ويقتضيه الواقع ، لما له من ارتباط وثيق بالتعايش السلمي بين المسلمين وأتباع الديانات والمعتقدات الأخرى في المجتمع، وثمارها القريبة والبعيدة المأمولة وتعطي معنى للحياة التنوع والتنوع داخل جدار المجتمع الذي ينعكس في الثراء في التدريب والتجديد في الأداء والاستفادة لعامة الناس دون استثناء. المجتمع ضرورة وجودية يفرضها الدين ويفرضها الواقع. الحوار الحضاري والثقافي واجب ديني ومصلحة إنسانية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية قالون

الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير ابن كثير المسمى (تفسير القرآن العظيم)**، دار الأندلس للطباعة والنشر – بيروت – ط1، 1385هـ - 1966م

أبوعبدالله محمد بن اسماهيل البخاري، تقديم ابن شاكر، **صحيح البخاري**، الطبعة السلطانية، دار الجبل، بيروت، 1313هـ.

سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط7، 1391هـ - 1971م.

عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون)**، الدار التونسية للنشر، 1391هـ-1971م.

سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته 198**، الاتحاد العالمي الإسلامي للمنظمات الطلابية، 1983م.

محمد عقلة، الإسلام مقاصده وخصائصه، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان / الأردن، 1984م.

رضا السيد، **التسامح العالمي والتعايش السلمي في المنظور الإسلامي**، حولية كلية الدعوة الاسلامية، القاهرة، 2020م.

سيف الجابري، **التعايش السلمي بين الشعوب في الإسلام**، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي، 2008م.